شمس العلوم
ودواء كلام العرب من الكلوم

للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار

نشرت مجلة الرسالة الغراء بعددها الصادر فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥٠ خبرا صاغه صديقنا الأستاذ عباس خضر جاء فيه أن المفوضية اليمنية فى القاهرة تلقت « كتابا مخطوطا اسمه شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم بناء على أمر جلالة الإمام أحمد ملك اليمن »

وهذا الكتاب المخطوط الذى أشارت إليه الرسالة معجم من معاجم اللغة العظيمة فى العربية ، ولكن أحداً لم يهتم به فبقى موءودا كل هذا الزمن الطويل ؛ بل لم يعرف هذا المعجم فى الشرق العربى إلا آحاد من المشتغلين باللغة ، أما الذين قرءوا هذا فلا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة عددا ، باستثناء اليمن الذى

العلماء الفرنسيون الذين اصطحبهم نابليون إلى مصر ووصفوهم بأنهم سحرة . ويحدثنا الدكتور طه حسين فى « الأيام » عن الشيخ الذى كان يقول فى درسه بالأزهر « من ذهب إلى فرانسا فهو كافر أو على الأقل زنديق » وها قد صارت العلوم الطبيعية . تدرس فى الأزهر على أحدث طرقها ونظرياتها وصار الأزهر يرسل البعوث إلى البلاد الأوربية وفيها « فرانسا »

فهل نستبعد بعد ذلك أن يأتى الوقت الذى تتحقق فيه الفكرة التى نعدها الآن فى غاية التقدمية والتى يدعو إليها السيد السنباطى . ! وهل نستبعد أن يأتى اليوم الذى يصبح فيه من مطالب الأزهريين أن يكون لهم موسم فى مسرح الأوبرا الملكية ؟

عباس خضر

أعتقد أن عددا من أهله اطلعوا عليه ودرسوه

وطبع هذا المعجم من قبل حكومة اليمن بعد مشاركة منها فى بناء صرح العربية بعد أن هدم أكثر جوانبه ، وأعتقد أن حكومة اليمن قد أحسنت بهذا العمل الجليل الذى يعد مفخرة من المفاخر وقربى من القرب

إلا أننى أرجو من حكومة اليمن التى تتولى طبع المعجم وإخراجه أن تعنى به عناية لا مزيد عليها ، لأن حياة الكتاب طبعه طبعا أنيقا مصححا تصحيحا دقيقا ، ونشره نشرا علميا صحيحاً ، ولابد فى طبع هذا المعجم النفيس من لجنة تشرف عليه ، لجنة عالمة فاحصة محققة تتولى تحقيقه وتصحيحه وتجنيبه من التصحيف والتحريف والخطأ ، وتسأل عليه ، وتسهل مراجعته على كل من يريد الكشف عن كلمة من الكلمات

ولو كان لى أن أقترح على حكومة اليمن لطلبت إليها أن تجعل فى هذه اللجنة اثنين من أعظم محققى الكتب القديمة هما الأستاذان الجليلان : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون تستعين بهما فى طبع الكتاب وإخراجه ونقده وتحقيقه والتعليق عليه

وإنى ما كدت أقرأ هذا الخبر فى مجلة الرسالة ومجلة الحج التى تصدر بمكة المكرمة حتى شعرت بشرور وسعادة ، لأن مالدى من أفكار أرى بعضه يحيا أمامى ، فأنا من رأيى طبع معاجمنا المضبوطة ، وهاأنذا أرى حكومة اليمن تقوم بهذا العمل الجليل الذى يكسبها ثناء لا يقوم بثمن ولا يحد بزمن

وإننى أهنئ حكومة اليمن من كل قلبى ، وأرجو أن تتجه إلى إحياء العلوم وبعث الكتب ، فإن قيامها بهذا الأمن كاف لأن يوجه إليها الأنظار ، ويصنع لها من الدعاية الصادقة التى لا كذب فيها ولا نفاق مالا تعد بجانبه الدعاية المأجورة إلا شيئا تافها حقيرا

وأود لو أن حكومة اليمن اتجهت إلى إحياء العلوم وبعث الكتب النادرة التى تردهم بها أبناء دورها الفسيحة اتجاها قويا

إنها لو اتجهت هذا الاتجاه فستربح مادة ومعنى ، وتفيد سمعتها ، وتشارك مصر خدماتها للغة والعلم

ويقوم بالإشراف على طبع المعجم القاضى العلامة عبد الله بن

عبد الكريم الحراق ، وهو من علماء اليمن البارزين فى اللغة وغيرها ، وأنا وإن كنت أعرف كفاية هذا العالم الجليل إلا أننى أود أن تقوم بالإشراف على الكتاب لجنة ، ويكون من أعضاء هذه اللجنة شاكر وهارون مبالغة فى توخى الحق وتحرى الصواب ، وعندى مقترحات أخر ستظهر من خلال كلامى هذه أوجه إليها نظر حكومة اليمن وأحب أن تمضى بها لأنها تفيد مشروعها اللانوى

أما هذا المعجم العربى الكبير فإننى أصفه لقراء العربية بما وعته الذاكرة ، وبما تحتفظ به أوراق التى أدون فيها بعض ما يبدو لى تدوينه

واسم هذا المعجم : « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » وصحيح التأليف ومعجم التصنيف والأمان من التحريف » واسم مؤلفه العظيم : أبو الحسن نشوان بن سعيد بن نشوان اليمنى الحميرى ، وذكر فى معجم الأدباء لياقوت وفى بغية الوعاة للسيوطى أنه : « أبو سعيد » ولعل لنشوان كنيتين

وأبو الحسن من علماء اللغة المعدودين فى العربية ، وكان فى زمنه علامة اليمن الفذ ، ومن علماء العربية المشار إليهم بالبنان كما يدل عليه مؤلفه القيم العظيم « وكان أوحد أهل عصره وأعلم أهل دهره »

ولم تكن اللغة أعظم علومه وفنونه ، بل كان « فقيها نبيلا ، عالما متفننا عارفا بالنحو واللغة والأصول والفروع والأنساب والتواريخ وسائر فنون الأدب ، شاعرا فصيحا بليغا مفوها » (١) وكان طلبة العلم يقصدونه من كل بلد ، بل كان يقصده العلماء يأخذون من علمه الواسع الغزير ، ويتزودون من ماله الذى منحه الله منه ما تنتهى عنده صبوة الطامع المستزيد

وكما منحه الله علما واسعا نافعا ، ومالا عظيما ، فقد منحه الله سلطانا مبينا ، وشعبا يحبه ويفديه لخلائقه الفاضلة الأصيلة ، وعدله وكرمه وبره وتقواه ، ولم يشغله الحكم عن العلم والتأليف ، بل كان يأمر وينهى ، ويتعبد ويخشى ، ويدرس ويؤلف ، دون أن يغفل عن شئ من هؤلاء ، وقد بارك الله له فى وقته حتى استطاع أن يملأه بالخير والنفع والعلوم والآداب

وكان تملكه أن استولى على قلاع وحصون ، ورأى أهلها أنه منقذهم ، وخير من يصلح لحكمهم ، فقدمه أهل جبل صبر وجعلوه ملكا عليهم فحكم بما أنزل الله ، وتوفى بعد عصر يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٧٣ ثلاث وسبعين وخمسمائة . رحمه الله

وخير مؤلفات أبى الحسن معجمه « شمس العلوم » الذى أشارت الرسالة إلى أن حكومة اليمن آخذة فى أسباب طبعه

ويوجد من هذا المعجم نسخة بدار الكتب المصرية إلا أنها غير كاملة ، بل الموجود منها الجزء الأول من أربعة أجزاء ، ينتهى إلى حرف الدال ، وهى مكتوبة بقلم تلميذ المؤلف وقريبه العلامة على بن نشوان بن سعيد بن سعد بن أبى حميد الحميرى وقد فرغ منها يوم الأربعاء الثالث من شهر شوال سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، أى بعد وفاة المؤلف بعشرين سنة

وإن بمكتبة شيخ الإسلام الإمام عارف حكمة الله الحسينى بالمدينة المنورة نسخة منه مبدوءة بقول المؤلف رحمه الله : « الحمد لله الواحد القديم القادر العظيم العزيز العليم الخ » أما ترتيبه فعلى حروف المعجم ، جاعلا لكل حرف بابا ، ولكل باب شطرين أسماء وأفعالا ، ولكل كلمة من الأسماء والأفعال بابا ومثالا

وننقل للقارئ بعض ما جاء فى مقدمة « شمس العلوم » وهذا نص ما قال مؤلفه : « وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى فى ذلك كثيراً من الكتب ، وكشفوا عنه مايستر من الحجب ، واجتهدوا فى حراسة ما وضعوه ، وضبط ما حفظوه ، وصنفوا من ذلك وجمعوه ، ورددوه عن الثقات وسمعوه ، فمنهم من جعل تصنيفه حارسا النقط ، وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بأمثلة قدروها ، وأوزان ذكروها ، ولم يأت أحد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات إلا بأحدها ، ولا جمعها فى تأليف لتباعدها ، فلما رأيت ذلك ورأيت تصحيف الكتاب والقراء وتغييرهم ما عليه كلام العرب من البناء ، حملنى ذلك على تصنيف ، يأمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، وبجملها مع جنسها وشكلها ، ويردها إلى أصلها ، وجعلت لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعلت لكل حرف منه من حروف المعجم بابا ، ثم جعلت كل باب من تلك

---

(١) بغية الوعاة

الأبواب شطرين : أسماء وأفعالا ، ثم جعلت لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزنا ومثالا ، فحروف المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة الحركات والشكل ، وزادة كل كلمة من بنائها إلى الأصل ، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا ، ويدرك الطالب ملتمسه سريعا ، بلا كد مطية عربية ، ولا إتعاب خاطر ولا روية ، ولا طالب شيخ يقرأ عليه ، ولا مفيد يفتقر في ذلك إليه ، فشرعت في تصنيف هذا الكتاب ، مستعينا بالله رب الأرباب ، طالبا لما عنده من الأجر والثواب ، في نفع المسلمين وإرشاد المتعلمين ، وكان جمعي له بقوة الله عز وجل وحوله ، ومنته وطوله ، لا بحولي وقوتي ، ولا بطولي ومنتي ، لما شاء عز وجل من حفظ كلام العرب وحراسته بهذا الكتاب ، على الحقب ، وسميته كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، وصحيح التأليف ، ومجم التصنيف والأمان من التصحيف »

ثم ذكر أبو الحسن - مؤلف هذا المعجم - فصلا في التعريف ثم بدأ في معجمه على ترتيب حروف المعجم

والحق أن « شمس العلوم » معجم عظيم دقيق ، وما ذكر مؤلفه في مقدمته صحيح لا زيف فيه ولا ادعاء به ، فهو معجم ضخم كبير سيكون في عديد من المجلدات ، وأقول تخمينا : إن به ثمانين ألف مادة

وقد اختصر هذا المعجم الشيخ علي بن نافع الحميري اليمني - أحد تلامذة أبي الحسن مؤلف شمس العلوم - اختصارا جميلا وسماه : « ضياء الحلوم المختصر من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » وقد ذكر السيوطي - رحمه الله - معتمدا على البلغة : أن ولد المؤلف اختصره في جزأين وسماه ضياء الحلوم ، والصحيح ما ذكرناه

وتوجد من هذا المختصر نسخة في مكتبة الشيخ عارف حكمة بالمدينة المنورة ورقمها بقسم اللغة ٨٢ وأوراقها ٤٠٠ ، وعدد كلمات كل سطر ٣٠ كلمة إلى ٣٣ في أكثر الصفحات ، وعدد السطور في كل صفحة ٣٣ سطرا وكل ورقة مكتوبة من صفحتيها ، والخط نسخ جميل ، والكلمات مضبوطة بالشكل ضبطا صحيحا متقنا

وهذه النسخة من ضياء الحلوم ليست بخط المؤلف بل بخط علي بن إبراهيم بن طيب من بلدة كوتاهية ، وفرغ من نسخها في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر سنة ١١١٦ هـ بمدينة القسطنطينية

ويحسن أن تعيد حكومة اليمن من الجزء المحفوظ بدار الكتب المصرية من شمس العلوم ، ونسخة مكتبة عارف حكمة من هذا المعجم ومن مختصره ، وتعارض ذلك بالأصل الموجود عندها مبالغة في تحري الصواب

وإذا صح عزمهم على المراجعة فإني أذكر لهم أن بمكتبة عارف حكمة قد انتزع مقدمة شمس العلوم ووضعها توطئة لنسخة من معجم « الراموز » للسيد محمد بن السيد حسن الشريف ، حتى ليخيل إلى من يقرأ الراموز أن هذه التوطئة مقدمتها ، مع أن ما جاء فيها من وصف الكتاب لا ينطبق على الراموز

ونسخة الراموز التي ألحقت بها المقدمة خطأ تحتل من قسم اللغة بتلك المكتبة رقم ٥٩ ، كما أن بها نسخة أخرى من الراموز رقمها ٦٠

وقد نبهت مدير المكتبة الذي بلغ الثمانين حتى أحوجت سمعه إلى ترجمان إلى هذا الخطأ الذي تركه حتى الآن

وأرى أن يعلق « الناشر » على كل مادة تتطلب التعليق في أسفل الصفحة التي تتضمن المادة ، ويحصي عدد المواد التي يضمها شمس العلوم ويطبعه طبعا أنيقا ، ويرتبه ترتيبا يسهل على الباحث سبيله . وذلك بأن يجعل كل مادة في أول السطر ، ويصنع مثل ذلك بكل كلمة تتفرع من المادة حتى لا يتعب القارئ ، ويكون الحرف كبيرا حتى لا يجهد العين ، وألا يكون كل جزء أكثر من مائتي صفحة

كما أن من اللازم أن يبحث الناشر الفاضل أو المكلف بالنشر في مكتبات العالم عن نسخة من « شمس العلوم » للمعارضة ، أما إذا كانت النسخة الموجودة لدى حكومة اليمن نسخة المؤلف فإن من الممكن الاقتناص بنسخة دار الكتب المصرية ونسخة مكتبة المدينة المنورة مع الإشارة إلى الفارق بين الأصل والمنسوخ منه

وقبيل أن أختم كلمتي هذه أهنئ حكومة اليمن على هذا التوفيق العظيم لإخراج معجم لغوي ضخم كبير ممتاز ، وأتمنى لها النجاح ، وأرجو أن تسير في هذا الطريق الذي يفضي بها إلى ما تريد من دعاية حسنة وسمعة طيبة وصوت بعيد ، كما أنني أشكر الصديق عباس خضري الذي رجع إليه الفضل في كتابة هذه الكلمة التي أملتها إشارته إلى شمس العلوم في عدد مضى من هذه المجلة الكريمة الغراء

أحمد عبد الغفور عطار